

*** فقه اللغة العربية ***

❖ اللغة : تعريفها و نشأتها و وظيفتها

- تعريفها :

- اللغة : لغة : مشتقة من (لغا / يلغو) إذا تكلم ، فمعناها الكلام .

اصطلاحاً: عرّفت تعريفات كثيرة أشهرها تعريف ابن جني في كتابه الخصائص: هي (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).

وهذا التعريف الذي تناقله علماء العربية على اختلاف تخصصاتهم يضارع أحدث التعريفات العلمية للغة؛ حيث ترى تلك التعريفات أن اللغة :

1. أصوات منطوقة.

2. تعيش بين قوم (مجموعة من الناس يتداولونها فيما بينهم)

3. وظيفتها التعبير عن الأغراض.

4. لكل قوم لغة مكتسبة.

فهذه هي أهم الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرّفها .

* لم يتفق العلماء على تعريف واحد للغة ؛ وذلك لأن علم اللغة يرتبط بعلوم عدّة ، أهمها : علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم المنطق ، والفلسفة ، والبيولوجيا (علم الأحياء) ، وغيرها ، فكان كل عالم ينظر إلى اللغة من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه .

- نشأة اللغة :

لقد شغلت قضية نشأة اللغة الإنسانية المفكرين على مر العصور ، وتصدى للبحث عنها كثير من اللغويين والعلماء والفلاسفة والمتكلمين ؛ ذلك أن اللغة من أهم الميزات التي ميزت الإنسان عن غيره من الأحياء ، حتى قيل في تعريفه :

(الإنسان حيوان ناطق) ، ولقد بذلت جهود كثيرة لكشف هذه القضية ، فلم يجمعوا على قول واحد ، بل ذهبوا مذاهب شتى ، وتوصلوا الى نظريات عديدة ، أهمها :

1 - نظرية التوقيف والإلهام.

2 - نظرية التواضع والاصطلاح.

3 - نظرية التقليد والمحاكاة:

— محاكاة أصوات الطبيعة (البو - وو)

— محاكاة الأصوات معانيها (دنك - دونك)

4 - نظرية الأصوات التعجبية العاطفية

5 - نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية .

وليس في أدلة أي من هذه النظريات ما تطمئن إليه النفوس بشكل جازم ويحل منها محل القطع مئة في المئة ، ولذلك انصرف الباحثون مؤخرا عن الخوض في هذا الموضوع ، وقررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائيا .

ومع تعذر الوصول إلى رأي قطعي في هذه القضية فلا بد من الإشارة إلى تلك النظريات، وهي:

أولاً: نظرية التوقيف والإلهام:

وتذهب هذه النظرية إلى أن اللغة وحي و الهام من عند الله تعالى، لا يد للإنسان في وضعها.

وقد قال بهذه النظرية ابن فارس وكثيرون غيره ، ودليل هؤلاء نقلي لا عقلي ذلك انهم يعتمدون على قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) ، وعلى ما ورد في العهد القديم : (أن الله تعالى خلق جميع الحيوانات ... ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها ، فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات) . أما ابن جني فقد عرض هذه النظرية لكنه لم يجزم بها كابن فارس، بل تردد هو وشيخه أبو علي الفارسي بين التوقيف والاصطلاح.

المآخذ على هذه النظرية :

- 1- (علم آدم الأسماء كلها) تحتل أن الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ ، وما ورد في التوراة يكاد يكون دليلا على هذه النظرية لا معها .
- 2- لو كانت اللغة توقيفية لما جاز لنا أن ندخل فيها شيئا ، فنحن الآن ندخل في لغتنا الكثير من مصطلحات العلوم والفنون والآلات الحديثة .

ثانيا: نظرية التواضع والاصطلاح:

وتذهب هذه النظرية إلى أن اللغة مواضعة واتفق بين الناس ، (مجموعة من الأشخاص اجتمعوا على وضع اللغة) ، ومن أنصار هذه النظرية ابن جني وكثيرون غيره ، يقول ابن جني : (غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف)

المآخذ على هذه النظرية :

- 1- إن التواضع يحتاج إلى لغة سابقة يتفاهم بها .
- 2- إنها مجرد دعوى تفتقر إلى الدليل، فلم ينقل عن العرب أو غيرهم من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع.

ثالثا: نظرية التقليد والمحاكاة : وتشتمل على رأيين :

— محاكاة أصوات الطبيعة أو (البو- وو): وتذهب إلى أن أصل اللغة محاكاة للأصوات الطبيعية وتقليد للأصوات المسموعة ، من الحيوانات والأشجار وغيرها مما تحدثه الأفعال عند وقوعها ، ثم تطورت هذه الألفاظ وارتقت بفعل ارتقاء العقلية الإنسانية .

قال ابن جني : (وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدوي الرياح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، ... ، ونحو ذلك ، ثم ولدت

اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل (.والى هذه النظرية مال كثير من الباحثين المعاصرين ؛ فهي تسائر طبيعة الأشياء التي تبدو يسيرة ثم تنمو وتتطور .

الماخذ على هذه النظرية :

- 1 - إنها تنزل بالإنسان إلى ما هو أقل من مستواه، فليس من المعقول أن يقلد الإنسان صوت الحيوان والأصوات المسموعة الأخرى.
- 2- الكثير من الأمم البدائية (كالهنود الحمر والزنوج) يتكلمون بلغات لا يظهر فيها أثر المحاكاة والتقليد للطبيعة.

— محاكاة الأصوات معانيها (دنك - دونك) :

وهي لا تختلف كثيرا عن سابقتها ، فهي تدل على أن جرس الكلمة يدل على معناها ، وهذه النظرية أعجبت ابن جني فأفرد لها بابين في كتابه (الخصائص) هما : (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) و (باب في إمساس الحروف أشباه المعاني) ، فقال : (توهما في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صرّ ، وفي صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر) ، وأعجب بهذه النظرية الشيخ صبحي الصالح ، فعقد بابا في كتابه (دراسات في فقه اللغة) سماه (مناسبة حروف العربية لمعانيها) .

الماخذ على هذه النظرية :

- 1 - إن الكلمات التي يمكن ان تفسر على هذه النظرية قليلة جدا ، فهي اذا كانت تصدق في كلمات فلا تصح في كلمات غيرها ، فمثلا قولهم : (الغين) تدل على الظلمة والانطباق والخفاء (غيم - غم - غبن) فكيف تفيد في (غني - غنج - غبطة)
- 2 - عجزها عن تفسير العلاقة بين آلاف الكلمات من حيث معناها وأصواتها، فما العلاقة بين الألفاظ (إبريق - كتاب - منضدة - ...) ومعانيها.

3 - لو كانت هذه النظرية صحيحة لكان كل إنسان يهتدي إلى كل لغة ولما صح وضع اللفظ للضدين كالحميم للبارد والحار، والجون للأبيض والأسود، ولما كانت اللغات مختلفة في الرمز على الشيء الواحد .

رابعاً: نظرية الأصوات التعجبية العاطفية:

تذهب إلى أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة تعجبية عاطفية، صدرت عن الإنسان بصورة غريزية للتعبير عن انفعالاته من الفرح أو الوجد أو الحزن أو الاستغراب أو التقرز.. الخ .

وقد رفضت للأسباب السابقة

خامساً : نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية :

إن اللغة الإنسانية بدأت بالمقاطع الطبيعية التي يتفوه بها الإنسان عفويا عندما يستعمل أعضاء جسمه في العمل اليدوي ، كما نسمع إذا وقفنا بقرب عامل يقطع شجرة أو يحمل ثقلاً .. الخ .

وقد رفضت للأسباب نفسها .

x ويبدو لنا أن أقرب النظريات للقبول النظريتان الأولى والثانية، فيمكننا القول : إن اللغة بدأت وحيا والهاما ثم تطورت بالاصطلاح .

وظائف اللغة :

1- وظيفة (الاتصال) أو (التوصيل) أو (التواصل) : بين ابن جني في تعريفه للغة أن الغرض الرئيس من اللغة هو التواصل ، فقال : (يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) ، وقد ذهب هذا المذهب كثير من المحدثين ، يقول مارتينييه (إن الوظيفة الأساسية للغة هي أنها وسيلة من الاتصال أو التوصيل أو النقل أو التعبير عن طريق الأصوات الكلامية) ، وهذه الوظيفة تبدو واضحة في مظهر اللغة الراقي كما في لغة المعلم عند شرحه للدرس ، ولغة المحامي عند مرافعته ، ولغة الخطيب عند خطبته ، الخ .

xx وقد تكون وظيفة التوصيل غير أساسية كما في المواقف الآتية :

- أ – المناجاة والقراءة الانفرادية بصوت عال.
- ب – استعمال اللغة في السلوك الجماعي كالصلاة والدعاء وغيرها.
- ج – استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية، مثل لغة التحيات ولغة التأدب والكلام على الطقس وغيرها.
- د – استعمال اللغة أحيانا لإخفاء أفكار المتكلم، على ما يتضح في لغة السياسة واللصوص وغيرهم.

2- مساعد آلي للفكر : فاللغة طريق تسهل الفكر وتساعد على نموه وتعبر عنه ، وهو بدوره يؤثر في نمو اللغة وتطورها ، فالتفاعل بين اللغة والفكر أمر واقع فنحن نفكر بجمل ، علم المنطق الذي هو علم قوانين الفكر قد اتخذ اسمه من النطق ، إشارة الى وثاقة الصلة بين (اللفظ والفكر) . وان كانت اللغة تسهل الفكر وتساعد على نموه فإن الفكر نفسه يعود فيؤثر في نمو اللغة وتطورها .

3- احد مقومات الوطن والوطنية : وذلك نظرا لما تخلف من شراكة في الفكر والاحساس بين المتكلمين فتكون بالتالي مدعاة للوحدة الوطنية ورابطة قويا يجمع الشعب الناطق بلغة واحدة ، فتصبح كأنها الوطن الروحي للناطقين بها .

- 4- وسيلة للترابط الدولي والقومي : فجامعة الدول العربية هي في وجه من وجوها لا بل في أهم وجه من وجوها جامعة اللغة العربية ، ووجود اتحاد الدول الناطقة بالفرنسية خير دليل على وظيفة اللغة هذه .
- 5- وسيلة للترابط الاجتماعي قد يقصد بها احيانا الحصول على العون والمساعدة واقامة الود والالفة بين المواطنين ولهذا السبب ينظر احيانا الى الصمت في الاجتماعات على انه مظهر عدائي او انه مظهر اختلاف في وجهات النظر .
- 6- وسيلة للتنفيس عن الاحساسات وبخاصة الحزينة منها فالإنسان عندما يخلو الى نفسه وينشد الاشعار الحزينة باكيا من فقدهم من الاحباب يستعمل اللغة قصد التفريج والتنفيس عن آلامه وأحزانه دون أن يبغى نقل احساسات أو أفكار معينة .
- 7- وسيلة للتسلية احيانا : فكثيرا ما يتلاعب الكبار والصغار بأصواتهم قصد التلذذ والانتشاء والسرور ، كالحزورات .